Religious Thinking between subordination and Individualism in Ancient Iraq

Lect. Noor Hikmat Khadhoori (Ph.D)
Mosul University/College of Arts- Dept. of Philosophy
noor.hikmat@uomosul.edu.iq
https://orcid.org/0009-0001-3150-2738

DOI: https://doi.org/10.31973/wnebrc14

Abstract:

Evolution and renewal are considered, with a great probability, a feature of human thought throughout the ages, as it went through several transitional stages, starting from mythical thinking to scientific thinking, and that this development was not limited to a specific civilization or a specific group of people. Anyone who is familiar with the ancient oriental thought, especially the thought of the civilization of Mesopotamia, and traces the intellectual path of this authentic civilization, will see the extent of the development that this civilization witnessed. Thought began with a tendency toward subordination of man to his gods, represented by blind obedience to them in addition to the saying of pluralism to the great powers that run the universe and man's fears of them, followed by the development of the intellectual variable from pluralism to the feature of exclusivity and the emergence of the idea of God who is mediator and protector , and the thought itself oscillated between certainty and doubt , with the beginnings of the growing individualism of the people of Mesopotamia civilization, reaching the stage of absolute skepticism, and an attempt to improve the religious and moral system. This indicates the extent of the development which is witnessed by human thought in the civilization of Mesopotamia at that time.

key words: Individuality, protective deity, skepticism,subordination.

الفكر الديني بين التبعية والنزعة الفردية في العراق القديم

م.د. نور حكمت خضوري
جامعة الموصل/ كلية الآداب– قسم الفلسفة
noor.hikmat@uomosul.edu.iq
https://orcid.org/0009-0001-3150-2738

(مُلَخَّصُ البَحث)

يمكن أن نعدّ التغير والتطور، باحتمال كبير، سمة من السمات التي تميز بها الفكر الإنساني على مرّ العصور، إذ مرّ بمراحل انتقالية عدة، بدءاً من التفكير الأسطوري وصولاً إلى التفكير العلمي .وإنّ هذا التطور لم يكنْ وقفاً على حضارة معينة أو مجموعة محددة من البشر. و من يطلع على الفكر الشرقي القديم، ولاسيما الفكر في العراق القديم، ويتتبع المسيرة الفكرية لهذه الحضارة الأصيلة يلمس مدى التغيرات والتطورات التي شهدتها هذه الحضارة. فقد بدأ الفكر فيها بنزعة تبعية للإنسان نحو آلهتهِ تمثلت بالولاء والتبعية المطلقة العمياء لها إلى جانب القول بالتعددية للقوى الكبرى التي تدير الكون ومخاوف الإنسان منها، تلاها تطور المتغير الفكري من التعددية إلى سمة التفريد وبروز فكرة الإله الوسيط والحامي، وقد تأرجح الفكر نفسه بين اليقين والشك، مع بدايات تنامي النزعة الفردية، لإنسان العراق القديم، وصولاً إلى مرحلة الشك المطلق، ومحاولة تحسين المنظومة الدينية والأخلاقية. وهذا إن دلّ فيدلّ على مدى التغير الذي شهده الفكر الإنساني في العراق القديم آنذاك.

الكلمات المفتاحية: التبعية، النزعة الفردية، الإله الحامي، الشك.

- **مقدمة:**

أشارت أغلب الدراسات الإنسانية إلى أثر الحضارات الشرقية القديمة، في مسيرة التطور الاجتماعي والفكري للإنسان، وربما أهم ما يميز تلك الحضارات إلى جنب القيمة الأثرية لبقاياها القيمة الفكرية من رؤى تأملية وحسية بسيطة، لم تتعد طابع الفلسفة التحليلية وتعقيداتها مثل الفلسفة اليونانية، لكنها أخذت طابعا فكريا بسيطا، أُشيرَ إليه بالفكر الشرقي القديم، ذلك الفكر الذي لم يكن ليخلو من خطوات ومتغيرات مستحدثة، والابتعاد عن الدوجماطيقية النمطية والجمود الفكري لتأخذ مجالها في أن تكون بواكير للتطور والتقدم الفكري الإنساني، ومن ثم التطور الحضاري والاجتماعي، ومن أهم المتغيرات الفكرية والتأملية التي ساهمت في عملية التطور، هي المتغيرات الفكرية في الدين، إذ يُعَدّ الدين أو العقيدة ظاهرة وضرورة إنسانية، تنامت مع البشرية منذ أول نشأتها، ولاسيما مع غلبة الدافع الحسي على المنطق العقلي، وربما يعد من أهم المرتكزات الاجتماعية والتنظيمية في أغلب

المجتمعات الحضارية القديمة، وفي كل الأزمان. إذا ما توافرت وتغلبت العوامل الحسية الروحية، على بقية العوامل الإدراكية الأخرى، وربما يمثل الدين حاجة فكرية روحية نفسية قبل أن يكون ممارسة عملية طقسية، للتعبير عن العلاقة التصورية ما بين الواقع والمجهول في محاولة للوصول إلى السلام الفكري والتناغم الروحي مع المجهول ومنحه هوية تعريفية مناسبة لإدراك الإنسان بشكله البدائي البسيط، وربما يعد المتغير والمتجدد في الفكر الديني، من خلال مظهر جمعي أو فردي، مرحلة فكرية متقدمة، تمهيدا للتطور في القيمة الإدراكية للعقل والمحتوى الحسي وحالة من حالات النقلة النوعية في المفاهيم والتصورات اللانمطية، لتساعد على الإبداع والتطور والتغيير، ولاسيما مظهر الشك وعدم اليقين حول بعض الرؤى الدينية، لتمنح الإنسان قوة التمرد على النمط الفكري الاجتماعي، الذي ساعد ربما في التطور النوعي للفكر العام وتقدم المجتمع.

ترتكز أهمية البحث وهدفه في محاولة التعريف على وجود بعض المتغيرات في الفكر الديني لحضارة العراق القديم، منها التفريد والإله الوسيط، الشك وعدم اليقين، ساعدت على الانتقال من حالة الدوجماطيقية والجمود الفكري والتبعية المطلقة الجماعية لمفهوم ما، لحالة من التحرر واللانمطية والتمرد الفكري الذي يساهم بشكل أو بآخر في تنمية التصور والتجدد في الإدراك الفكري العام، مما يقودنا إلى إظهار قدرة الإنسان الرافديني الفكرية الحيوية، وإمكانياته في التحرر من النمطية والقدرة على التجدد وصولاً إلى التمرد والثورة الفكرية، من منطلق فرضية البحث التي ترى وجود الكثير من المتغيرات الفكرية في الإشارات الكتابية من قصص وأساطير العراق القديم، إذا ما تركنا الأثر المادي جانباً، إذ تتضمن الكثير من القيم الفكرية المتحررة واللانمطية التي تساعد على التقدم الفكري العام.

- **تمهيد :**

يعد الدين بشكل عام في المجتمع، مجموعة من المظاهر العقائدية، والممارسات الطقسية التي تحدد معنى حياة الإنسان وسلوكه ضمن مجتمعه تجاه قدسية العالم الآخر الميتافيزيقي المجهول بشكله اللامتناهي والأبدي؛ لذا سيساهم الدين في إيجاد نظام اجتماعي إنساني عبر قوة ونعمة القوى العليا المقدسة، وسيشترك في هذا الاعتقاد جماعة من الأفراد يكونون وحدة متماسكة دائمية (الخشاب، ١٩٦٤، ٨٢) .

وربما شَكل الفكر والتصور والعقيدة الأساس الأقوى في الفكر الشرقي القديم، للنمو والارتقاء من خلال الصراع والتأرجح ما بين النمطية والجمود الفكري الجمعي، وما بين الحيوية والتمرد الفكري الجمعي أو الفردي، والذي ستتولد منه الخطوات والبواكير الأولى للتطور والإبداع والقناعة بالمتغير والتغيير.

أشار بعض المؤرخين والباحثين إلى أن الحضارة وليدة التحدي والحاجة والاستجابة من خلال الاختراع والإبداع، بحسب ما تطرق المؤرخ الكبير أرنولد توينبي بمفهوم (التحدي والاستجابة) (**Challenge and Response**)(فرانكفورت، ١٩٦٥، ٣٣). والمتمثل بمواجهة الإنسان لتحديات الطبيعة الأرضية والمحيط البيئي ،ومحاولة التغلب على مصاعبها، ومواجهة أخطارها بالعمل الشاق والاختراع والإبداع لتذليل هذه المخاطر ومحاولة تغيير سلبياتها إلى حالات إيجابية تصب في مصلحته، فضلاً عن الانتفاع من المظاهر الطبيعية الأخرى.

وتناول توينبي الصراع والانتفاع الفكري لتحديد مفهوم طبيعة التحدي والاستجابة، من منطلق ديني (توينبي، ٢٠١١، ١٠٩-١١٠)، قبل البيئيToynbee) ، ١٩٤٩، ٩٢-٩٣)، مركزاً فلسفته في صورة العلاقة بين شخصيات بشرية مع قوى عليا مقدسة عبر دراسة قصص دينية مقدسة، كقصة آدم وحواء من منطلق نظرية الخلق التوراتية ومواجهتهما للمصاعب والتحديات والخطوات الانتقالية من أجل تحقيق نتائج مرضية لهم، وقصص أخرىToynbee) ، ١٩٤٩، ٨٧-٨٨)، بوجود الحاجة والاستجابة لتحقيقها، وهذا ما نراه ربما في فلسفة الثالوث التي تتضمن كل من الإله والإنسان والشيطان، فقد مَثّلَ (الإله) المنحة أو الحاجة وقد مَثّلَ الإنسان العمل والفكر وجاء الشيطان ليرمز للتحدي. ربما صور توينبي مفهوم التحدي والاستجابة من هذا المنطلق الفكري قبل أن يكون من منطلق بيئي.

- **التعريف بالفكر الشرقي القديم:**

من المتعارف عليه أن منظومة الفكر الشرقي القديم تضم مجمل حضارات العالم الشرقي القديم ممثلاً بكل من حضارات العراق ومصر وبلاد فارس والهند والصين. ولو تتبعنا الموقع الجغرافي لتلك الحضارات لوجدناها تقبع بالقرب من مياه الأنهار ،وهذه كانت من أهم الأمور التي تميزت بها تلك الحضارات والتي أدت دوراً مهما في تحديد أهم سماتها. فالأنهار كانت مصدراً مهما للإنسان القديم يستعمله لغرض الزراعة وتربية الحيوان من جهة، كما ساعدت ديمومة الأنهار على الاستقرار والثبات في مكان واحد وإنهاء حالة التنقل والتجوال، ومن ثم تكوّن القرى والمدن وظهور الحضارة. وقد أنعكس ذلك بشكل مباشرٍ أو غير مباشر على طبيعة الفكر الذي نشأ في تلك الحضارات، ولاسيما العراق القديم، ذلك الفكر الذي يمكن أن نحدد بعض السمات التي صبغته فمنحته ربما صفة الانفراد والتميز. فما تلك السمات إذن:

- **تطور الفكر ونموه عن طريق الجماعة (الفكر الجمعي):**

ربما نتمكن من قراءتنا للفكر الشرقي القديم تحديد صفتين ترتبط إحداهما بالأخرى أولهما: أن الفكر التأملي الذي مارسه المفكر قديماً كانت له خاصية النمو والتطور المستمر،

وثانياً: أن العالم الطبيعي والعالم الإنساني كانا بالنسبة لهذا المفكر يشكلان كلاً واحداً لا يتميز أحدهما عن الآخر (فرانكفورت، ١٩٨٠، ١٤) . فالإنسان كان يعد نفسه جزءا من العالم الطبيعي حاله حال أية ظاهرة طبيعية أو كائن حي، عليه إن أراد أن يحيا بهدوء وأمان أن يعيش على وفاق وتناغم مع النظام الكوني- الطبيعي. وربما ساعدت هذه الرؤية الإنسان آنذاك على العمل في منظومة جماعية متماهياً ومنصهراً فيها. وهذا ما عكسه لنا أدب تلك الحضارات القديمة وفكرها، إذ نجد معظم الأفكار الفلسفية التي تضمنتها الملاحم والأساطير آنذاك لا تحمل اسما يشير إلى من دونها أو ألفها كأساطير الخلق والتكوين والملاحم البطولية.

وهذا إن دلّ فربما يدلّ على أن تلك الأعمال التي عكست فكر حضارات الشرق القديم كانت تعبر عن فكر الجماعة التي ينتمي لها من دوَن أو كتب تلك الأساطير والملاحم، وهكذا عندما يصبح الفكر الفردي انعكاسا للفكر الجمعي سيتطور الفكر بصورة عامة لا فردية (النشار، ٢٠١٢، ٢١).

هنا تتضح عظمة المفكر الشرقي القديم بتماهيه مع فكر الجماعة، إذ أدى هذا التماهي والتعاون بين أبناء الحضارة الواحدة إلى اتقان العمل وانجازه بنجاح يلفت الأنظار، وكان حصيلة هذا التعاون والتفكير الجمعي التقدم والتطور الحضاري بصورة عامة من دون ظهور الفردية والتمايز بين أبناء الحضارة الواحدة.

- **القيم اللاهوتية والأخلاقية الروحية:**

تعد سيادة القيم اللاهوتية والأخلاقية الروحية، من السمات المهمة في الفكر الشرقي القديم ويمكننا أن نرجع بواكير النزعة الدينية إلى الفكر التأملي الذي مارسه الإنسان الشرقي القديم لفهم أسرار الوجود وحلّ ألغازه، لو تصفحنا تاريخ الفكر الشرقي القديم فلن نجد فصلا بين كل من التفكير اللاهوتي والتفكير التأملي الفلسفي (غلاب، ١٩٣٨، ١٢)، فمن غير الممكن وكما يرى بعض الباحثين أن يكون الإنسان فيلسوفاً من دون أن يكون حكيماً أيضاً (توملين، ب.ت، ١٩-٢٠). لقد أشرنا سابقاً بأن الإنسان الشرقي القديم كان يعدّ ذاته جزءا من هذا الكون المليء بالأسرار والخبايا التي كانت تثير في داخله هواجس الخوف والقلق من ناحية، والتبجيل والتقديس من ناحيةٍ أخرى، ومن أجل التغلب على هذه الهواجس كان عليه أن يلتزم بمنظومة من القيم الأخلاقية ليعيش على وفاق وتناغم مع الكون والقانون الطبيعي ومع باقي الموجودات التي تشاركه في الوجود فيتمكن إثر ذلك من تحقيق السلام والسعادة (فرانكفورت، ١٩٨٠، ٣٩).

هكذا فقد كان اللاهوت ممتزجاً بالأخلاق والتفكير التأملي الفلسفي في الفكر الشرقي القديم، إذ كانت المنظومة الأخلاقية ترتدي ثوبا لاهوتيا تارة يدعو إلى العدل والاستقامة والطاعة والفعل الجيد وتصوف روحي تارةً أخرى يدعو إلى النقاء والطهارة والتقشف، وأحياناً كان يظهر بهيئة حكمة يحيطها التأمل العقلي الفلسفي (النشار، ٢٠١٢، ٢٤-٢٥).

- **التفكير التطبيقي (العملي) :**

إن من يقرأ الأفكار الفلسفية في الفكر الشرقي القديم يرى أن المفكر الشرقي القديم يربط الفكر التأملي بالتطبيق العملي ويوحد بينهما بشكل وثيق (كولر، ٢٠١٣، ١٩-٢٠). الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى اتهام هذا الفكر بالتجرد من التفكير التأملي النظري وأخذه بالعملي التطبيقي فحسب (النشار، ٢٠١٢، ٢٤-٢٥) ونزوعه نحو الأمور العاطفية والروحية. وفي رأينا هناك مغالاة في الاعتقاد هذا، فالإنسان قبل أن يعمل عليه أن يتأمل ويتفكر فكل عمل وتطبيق لابد أن يسبقه فكرة وجدت بالقوة في الذهن سابقة لأي تطبيق عملي، ومن خلال تحويل الفكرة إلى عمل تنتقل بلغة أرسطو من حيز القوة إلى الفعل. فلا يوجد عمل ينفذ من فراغ، بلْ لابد أن تسبقه تلك الومضة الذهنية التي ستؤدي إلى انجاز وابداع عملي على أرض الواقع (مرحبا، ١٩٩٥، ٣٣). فالفكر الشرقي يهتم بطرائق الحِجاج الصحيحة لكنه يهتم بالتأمل في الوجود الواقعي وفهمه كمرشد لحياة الإنسان، أي أنه يهتم بالتطبيق العملي والتفكير التأملي النظري فمن فعن طريق هذا التفكير التأملي الذي ضم مجموعة من الافتراضات الفلسفية المسبقة نتجت أساليب من الممارسات العملية والتطبيق العملي في الحياة (كولر، ٢٠١٣، ٢٠) .

هكذا ربما نجد هذه السمات العامة التي أمتاز بها الفكر الشرقي القديم بأنه فكر أصيل أوجد نفسه بنفسه فتميز بالأصالة والإبداع، إذ إنه واجه التحديات بالتأمل والتفكر والبحث عن الأجوبة لمجموعة الملذات الكبرى التي شغلت فكر الإنسان آنذاك، فكانت تلك الإجابات متناسبة والمحتوى الفكري لإنسان الحضارات القديمة ،الذي كان يشق طريقه نحو الارتقاء والتقدم آنذاك.

- **النزعة التبعية المطلقة و مرحلة اليقين المطلق**

تشير دراسات عدة إلى أن الإنسان قد قضى نحو ٩٩% من حياته في عصور ما قبل التأريخ لتدخل بعدها البشرية في أخطر تجربة وامتحان لاتزال تعاني منها وتتفاعل معها، ألا وهي تجربة الانتقال من طور الحياة البدائية إلى طور الحضارة والمدنية (باقر، ١٩٧٥، ٧). وقد أشرنا سابقاً كيف كان للبيئة دور مهم في نمو الفكر الإنساني القديم وتطوره. وهذا الأمر ينطبق على حضارة العراق القديم، إذ أدت البيئة دوراً كبيراً في نشوء وقيام هذه الحضارة منذ الآف السنين ومن ثم تبلور نظرة الإنسان الدينية تجاه عناصر الطبيعة (سهفان، ١٩٩٩،

٢٣). فقد عاش الإنسان العراقي القديم في بيئة قاسية سببت له في بعض الأحيان الشعور بعدم الطمأنينة والأمان، ولاسيما فيضان نهري دجلة والفرات الكبيرين والمخيفين ومن دون سابق إنذار من جهة، وفي مدة لا تتوافق مع النظام الزراعي المعتمد على وفق الظرف المناخي وقد سبب هذا نوعا من الشعور والإحساس بالضعف والخوف للإنسان تجاه ذلك، ولاسيما في البدايات الأولى من تمدنه (فرانكفورت، ١٩٦٥، ٢٤٢). وقد انعكس هذا الشعور بالخوف والقلق في النتاجات الفكرية والأدبية لهذه الحضارة الأصيلة من خلال النظر للطبيعة والكون وديناميكيتها المعتمدة وجود حياة وأرواح لكل من مظاهرها (حنون، ١٩٨١، ١٥٩) وهي في حالة صراع ونزاع من جهة أو وفاق وانسجام من جهة أخرى شبيهة بالمجتمع البشري.

نجد في المرحلة الأولى من التفكير أن الإنسان العراقي القديم عد نفسه كائناً ضعيفاً مغلوباً على أمره ضمن هذه القوى العليا الجبارة التي كان يجهل أسباب حدوثها بصورة منطقية ومن ثم كان يجهل الطريقة التي يحمي نفسه منها؛ لذلك ركن إلى التفكير الأسطوري الذي صور له عناصر وقوى الطبيعة على هيئة آلهة ذات سطوة وسلطة في حياته الأرضية، مما أوجد لديه ذلك الشعور بالتبعية المطلقة لهذه الآلهة ومحاولة إرضائها عبر رجال دين أو كهنة يشكلون دور النيابة أو الوكالة عن هذه الآلهة المسؤولة عن مقدرات حياة الإنسان في العراق القديم (الطعان، ١٩٨١، ٥٨١).

يمكننا القول إنه ربما كان وراء ظهور النزعة التبعية المطلقة للإنسان تجاه آلهته هو ما تضمنته أسطورة الخلق والتي تضمنت فكرة خلق الإنسان من أجل خدمة الآلهة لا غير، وإتباع أوامرها خوفاً من غضبها وبطشها من جهة، وطمعاً في حمايته ومنحه الحياة الطويلة والسعيدة من جهة أخرى، إذ جاء القول في أحد الأساطير السومرية أن" الإله آنو خالق السماوات وأيا خالق القصب والمياه الجوفية والجبال والبحار وآلهة أخرى والكاهن الأعلى ثم الملك والجنس البشري" (الأحمد، ٢٠١٣، ٦٧). وقيل أيضاً عندما اجتمعت الآلهة العظام (آنو، انليل، شمش، وأيا وجميع آلهة الآنوناكي) وتشاورا فيما بينهم بعد أن خلقوا الكون متسائلين عما يخلقون بعد؟ فأجابهم الآنوناكي:" لنذبح الهين من آلهة الـ المكا (Lamga) ونخلق من دمهما البشر ولنفرض عليهم خدمة الآلهة في جميع الأزمان" (باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ١٩٧٦، ٨٧-٨٨).

نستنتج مما ورد في أعلاها، أن تبعية الإنسان العراقي للآلهة كانت شبيهة بعلاقة الخادم بسيده في الدولة البشرية، وهي علاقة تبادلية تتمثل بالخدمة من قبل العبد مقابل الحماية من قِبل السيد. والحال نفسه ينسحب على طبيعة العلاقة بين الإنسان العراقي وآلهته فطالما كان خادماً مطيعاً ومجتهداً لها فعليها بدورها منحه الحماية والمكافئة وذلك بحسب منظوره للأمر

عن طريق الخدمة والتعبد وتقديم القرابين للآلهة ليتمتع بالحماية ويحظى بالنجاح في الحياة (فرانكفورت، ١٩٨٠، ٢٤٢). وهو نوع من العدالة الإلهية نحو الإنسان، إلا أن هذه العدالة التي كانت مرتبطة بالولاء والتبعية المطلقة من الإنسان للآلهة، كان يعدها الإنسان آنذاك هبه من تلك الآلهة عليه لكونه مجرد عبد وليس على العبد سوى الخضوع وتنفيذ الأوامر من دون أن يكون له أي حق بالمطالبة بأي شيء(الطعان، ١٩٨١، ٥٨٢).

هكذا ربما كانت الحياة في نظر الإنسان العراقي القديم مسالة اعتباطية قد يحظى فيها عن طريق الولاء والخدمة برضا الآلهة، ولكن من حق تلك الآلهة أن تمنح العدالة أو لا تمنحها، وليس من حق أي إنسان المطالبة الشخصية بها (فرانكفورت، ١٩٨٠، ٢٤٥). لهذا لا نجد ربما في هذه المدة وهي مدة سيادة الفكر السومري القديم، أي نزعة فردية لدى الإنسان العراقي فهو مجرد خادم وعبد تابع للآلهة تبعية مطلقة.

- **ظاهرة التفريد والإله الوسيط الحامي)بواكير النزعة الفردية ومرحلة التأرجح بين اليقين والشك)**

تعدّ العقيدة الدينية في فكر العراق القديم– إن جاز لنا التعبير– علاقة روحية بين عالم الإنسان وعالم الآلهة، ومشهدها في العالم الميتافيزيقي الغيبي أو المجهول، لتكون كما نرى معادلة ثلاثية فلسفية أطرافها الإنسان والغيب (العالم الميتافيزيقي) والآلهة، إذ مَثَّلَ الإنسان الإدراك والحس الروحي، وقد مَثَّلَ العالم الميتافيزيقي غياهب المجهول، وشكلت الإلهة القوة العليا المقدسة والخالدة والمحركة لكل ما يحيط الإنسان، فضلاً عن ذلك فقد تميز الفكر الديني في العراق القديم، مثل ما هو في حضارات الشرق الأدنى القديم، بمفهوم التعددية الإلهية (**Polytheism**)، أي عبادة مجاميع من الآلهة وتقديسها، التي مثَلَت قوى محركة، لأغلب المظاهر المحيطة بالإنسان، من المحيط الكوني والمحيط البيئي والاجتماعي، فضلاً عن عالم ما بعد الموت (باقر، ديانة البابليين والآشوريين، مج٢، ج١، ١٩٤٦، ٣–٤). أي قوة لكل مظهر من المظاهر المتحركة، بدلالة أنّ الحركة تعني الروح ليساعد على نمو الإنسان والتأثير في مجرى حياته الروحية والمادية (جاكوبسن،١٥١،١٩٨٠).

لقد سعى الإنسان العراقي في ظل التعددية الإلهية، إلى التميز والتفرد والتجديد، والابتعاد عن الطابع النمطي وتبعية المجموع، ولاسيما في بدايات الارتقاء الحضاري والسياسي، ضمن العصر السومري القديم، وهو عصر دويلات المدن السومرية المتنازعة، في الألف الثالث قبل الميلاد لاسيما مع وجود تحديات حياتية في تلك المدة ، ومنها الخوف من الجوع نتيجة الحروب وما صحبها من تخريب (الأحمد، ٢٠١٣، ١٢). وقد ساعدت تلك التحديات في محاولة الإنسان العراقي بالتمرد على الجمود الفكري محاولاً وربما بداية الأمر عبر اتفاق الرأي العام، بموجب السلطة السياسية والدينية إلى النزوع نحو اتخاذ

مبدأ التفريد في التعبد (**Henotheism**)، وذلكَ بعبادة إله واحد وتمجيده ، من تلك الآلهة المتعددة، ليحتل الصدارة في المدينة، ويكون هويتها المقدسة والمبجلة، وهو الإله الوسيط والحامي والشفيع للمدينة بكاملها. وكسمة رمزية لها من دون نبذ أو طعن الآلهة الأخرى التي تكّون البانثيون والمجمع الإلهي الكبير لكل السكان في العراق القديم. (سليمان، ١٩٩٣، ١١٦).

إن التفرد بخصوصية عبادة إله في المدينة، ربما هو مظهر للفرقة السياسية والعصبية القبلية ويعود ذلك باحتمال كبير إلى طبيعة الإنسان، بميلهِ إلى التكتل والتعصب، للأسرة والعشيرة وأهل المنطقة والمدينة، وتعد محاولة للتميز والتفرد، وربما مظهر لإيجاد سبب للنزاع، والخلاف مع الآخرين هذا الخلاف الذي يمثل نوعا من أنواع الحيوية والتمرد على النمط السائد، ومظهرا للتحرر والاستقلالية الشخصية، ومن ثم التحرر الفكري، ربما أوجدهُ الشخص المتنفذ مثل الكاهن أو الحاكم لضمان النفع العام، علماً إنّ التفريد يختلف عن التوحيد (**Monotheism**)، الذي لم يعرفهُ الفكر الديني في العراق القديم في ذلك الوقت.

لقد كانت للمتغيرات السياسية، التي مرت بها البلاد، أثر في التغير الديني (سليمان، ١٩٩٣، ١٦) (الأحمد، ٢٠١٣، ٦). فحين تتقدم إحدى المدن في قوتها السياسية اللازمة لفرض سلطتها السياسية على المدن الأخرى، سيُعلى تبعاً لذلك شأن إلهها إلى منزلة عظمى، ويسعى الكهنة إلى جعل إلههم الأعلى شأناً بين الآلهة الأخرى. (باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ١٩٧٣، ٢٢٦-٢٢٧). ويأتي هذا في سياق الاستفادة من الدين لتحقيق هدف سياسي يتمثل في توحيد الشعب تحت راية الخضوع والإذعان لإله أعلى؛ بغية تدعيم الوحدة السياسية للبلاد (بوتيرو، ١٩٧٠، ٩٣-٩٤).

وهكذا فإن متطلبات المرحلة السياسية التي تمر بها البلاد، ومدى تلائمها مع إله معين لها أدى دوراً مهما في تحديد منزلة ذلك الإله قياساً بالآلهة الأخرى. فحاجة الدولة الأكدية مثلاً، إلى الدعم الحربي هو الذي جعل من إلهة الحرب (عشتار) أكبر شخصية إلهية انثوية في البانثيون والمجمع الإلهي في عهد دولة أكد. وهذه الإلهة قد احتلت مكاناً متميزاً في الدولة الاشورية كذلك بوصفها إلهة للحرب (علي، ١٩٨٩، ٣٣٥).

ربما نستطيع أنّ نستخلص من حالة التفريد هذه محاولة للتفرد والخصوصية ومنفذ للنفعية مما جعل فكر الإنسان العراقي بعيداً عن الدوجماطيقية النمطية، وفي طور توجيه الأمور القدسية بما يلائم فائدة مجتمعهِ وتطورهِ وزيادة قوتهِ، وربما تعد تلك الخصوصية والتفرد والتجرد من التبعية الدينية مظاهر ومتغيرات للتطور وبواكير لظهور النزعة الفردية للإنسان.

- **الإله الحامي**

اشرنا سابقاً، كيف إنّ الآلهة في العراق القديم، قررت خلق الإنسان من أجل خدمتها، مثل ما بيّنَت قصة أو أسطورة الخليقة إينوما إيليش(حينما في العلى)، فقد أُشيرَ فيها، إلى خلق الإنسان من أجل خدمة الآلهة، لكثرة عنائها، وهو تفسير فلسفي ورؤية غيبية أخلاقية، لافتراض سبب خلق الإنسان (علي ف.، ١٩٧٨، ١٧-٢٦). أي أنّ الإنسان وجدّ بهدف خدمة الآلهة، وهي حالة من حالات التبعية الدينية المطلقة، إذا ما دُرِسَت ظاهرياً، لكن الإنسان العراقي القديم قد بينّ ذلك ظاهرياً إنه في خدمة الآلهة احتراما وتقديراً، لكنه في واقع الأمر، وبإحساسهِ الداخلي والعملي، لديهِ نوع من الشعور والرؤية الفكرية اللانمطية واللاتبعية بِأنّ خدمتهِ للآلهة التي مثلت قوة عليا، قد تعود بالنفع عليه، ونلمس ذلك في النصوص المكرسة للآلهة التي تذكر فيها الخدمات المقدمة للآلهة لتنتهي بجملة من الأمنيات والطلبات بطول العمر والعيش الرغيد، أي أنّ الإنسان يخدم الآلهة من أجل تحقيق راحته بالنتيجة، وهو نوع من الالتزام الأخلاقي، في العمل والمنفعة المتبادلة، وليست علاقة نفعية برغماتية بحتة، من جانب واحد، بل نوع من النفع البراغماتي المتبادل (خضوري، ٢٠٠٥، ٥٨-٦١).

ويمكن أن نعدّ هذا نوعا من أنواع البرغماتية الفكرية، أي نوع من الانتقال من الجمود الطقسي والتبعية الدينية المطلقة، إلى نوع من حيوية التعامل، وخلق المتغير عبر إيجاد منافذ مستحدثة وأساليب تضمن له التغير والتطور الأفضل من حالة إلى حالة أخرى، ربما هو نوع من الاحتيال الفكري الفطري، لكنه يعدّ حيوية تأملية إدراكية للأبعاد السلبية والإيجابية، وصولاً للمفيد منها لحياتهِ ومجتمعهِ.

يمكننا تحديد تلك المنافذ والأساليب بالعطاء للآلهة واحترامها، والتحلي بالأخلاق الكريمة مع استحداث متغير مهم مساعد للتحرر من التبعية المطلقة للآلهة، وهو متغير ساعد على تحرير الإنسان العراقي من مخاوفه، بخلق صورة من صور القوة الداعمة له، وهي صورة الإله الوسيط والحامي، علما أنّ التحرر من الخوف يُعَدّ من أهم عوامل الإبداع والتجدد، وربما قد مثلت تلك المخاوف دافعاً لبداية التحرر من القيود في الألف الثالث قبل الميلاد، لتظهر معالم جديدة من المخاوف في الألف الثاني قبل الميلاد، بحسب ما أشار إليه بعض الباحثين، بظهور مخاوف من الخذلان الشخصي للإنسان العراقي، مخاوف من المرض والمعاناة والمآسي، وظهور مبدأ الإله الشخصي الحامي، الذي مَثَلَ تجسيما لقدرة الإنسان على التفكير الصائب (الأحمد، ٢٠١٣، ١٣). وقد تبلورت فكرة الإله الشخصي(**Personal God**)، ربما بعد فكرة التفريد في عبادة إله رئيس للمدينة، وهو الإله الحامي الرئيس لكل المدينة. (علي و عامر، عادات وتقاليد الشعوب القديمة، ١٩٧٩، ١١٧).

يمكننا عد الإله الوسيط والحامي انعكاساً للسلوك الأخلاقي، في مجتمع العراق القديم يتميز أفراده بحب العطاء، وحب المساعدة والتعاطف، وإدراك معنى خدمة الآخرين ومساعدة بعضهم بعضا. وتلك المعاني، قد ارتبطت من ناحية أخرى بمشاعر وأحاسيس الأمل والرجاء والتفاؤل وحب الحياة والسعادة، وكل المظاهر المشرقة في حياة الإنسان، وربما تميز الإنسان العراقي بإشراقاته في الحياة أكثر من باقي شعوب حضارات الشرق الأدنى القديم، فقد تمثلت تلك الإشراقات، بفلسفة ورؤية الإنسان للحياة، إذ وجدَ في إلههِ الوسيط الشخصي، رمزاً عكس قيمتهِ الذاتية وشخصيته المستقلة؛ لذلك توجب عليه الالتزام الأخلاقي معه، ليتحرر من تبعيتهِ للآخرين (الطعان، ١٩٨١، ٥٨٣).

وتجدر الإشارة إلى أن من أكثر المسميات التي كانت مستعملة للدلالة على الروح الحامية، أو الآلهة الحارسة بشكلها الأنثوي، أو الملاك الحامي بشكل عام، هي اللاما في اللغة السومرية واللاماسو في اللغة البابلية، وقد ترفق كلمة اللاما، بصفات ومسميات أخرى، لتمييز عملها وخصوصيتها، في حماية الإنسان من الأمراض والحِفاظ على صحتهِ، فضلاً عن حماية القصور والمعابد والمدن (Foxvog, Heimpel, & Kilmer, 1980, 83, 453-446).

يمكن أن نعدّ تأريخ العراق القديم تأريخاً اتسم بالحيوية والتطور، إذ لمْ يخل في هذه المرحلة من حدوث متغيرات تمثلت بظهور ثقافات فكرية وإنسانية جديدة، كالثقافة الجزرية-السامية (الوافدين من شبه الجزيرة العربية) وبدايات التسلط السياسي لها وإقامة أولى الممالك في الشرق الأدنى القديم بإسم الدولة الاكدية، إذ أصبح هناك نوع من التداخل والامتزاج الفكري مع ما كان سائدا من أفكار سابقاً ومن ثم حدث تنوع جديد في الرؤى الفكرية.

وتميزت الثقافة الأكدية الجزرية بخصوصية فكرية تختلف نوعاً ما عن الخصوصية الفكرية والثقافية للحضارة السومرية السائدة في جنوب العراق منذ بدايات الحضارة التي ترجع الى الألف الخامس ق.م (باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ١٩٧٣، ٣٥٥-٣٥٦)، وقد أوجد هذا التداخل الفكري أبعاد ورؤى فكرية - فلسفية جديدة، ولاسيما النظرة تجاه العالم الميتافيزيقي (الإلهي) فحينما نرى لدى الإنسان السومري فكرة الولاء والتبعية المطلقة للآلهة وتعظيم الدور الإلهي نجد وبشكل واضح نظرة الإنسان الجزري (الأكدي) بتعظيم الدور الإنساني وتهميش الدور الإلهي نوعاً ما، مما دفع أحد ملوكهم الأقوياء وهو الملك الأكدي (نرام سين) لتأليه نفسه، كما أنه لم يجعل للآلهة دوراً كبيراً في إنجازاته الحربية وسلطته السياسية (باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ١٩٧٣، ٣٦٩-٣٧٠).

ومع بدايات الألف الثاني ق.م وبدخول الهجرات الآمورية الجزرية البدوية من شمال الجزيرة إلى أرض العراق وتأسيس ممالك لها بعد سقوط المملكة السومرية الأخيرة وتداخل هذه الثقافة مع ثقافة أخرى ذات أصول عيلامية (جنوب غرب إيران) التي كونت جميعها الخارطة السياسية لبلاد العراق القديم قبل توحيد هذه الممالك على يد الملك الآموري حمورابي، وربما ساعد هذا وعبر تداعيات الصراعات الفكرية والسياسية على اهتزاز وأرجحة ثقة الإنسان العراقي بنفسه وإيمانه بالآلهة أذ بدأ بتوجيه التساؤلات الكثيرة منها: لماذا لا يحاسب الإنسان الآلهة في هذا العالم الإنساني الصغير؟ طالما هذه الآلهة لم تفِ بعهودها تجاهه وتقوم بنقض العقود (لامبرت، ٢٠١٥، ٣١).

لقد تبنى الإنسان العراقي آنذاك رؤية فكرية جديدة مفادها، بأن الآلهة خلقت فضلاً عن الأخلاق الكريمة، أخلاقا وقيما أخرى سلبية مثل: الجور، والظلم ،والشر ،والكذب، والخصام، وهي منافية للأخلاق الطيبة للبشر (كريمر، ب.ت،١٩٦). وخير مثال على العلاقة بين المؤمن وآلهتهِ، ما دار في إحدى القصائد السومرية، التي تركت تأثيرها في المعتقد العبراني (اليهودي)، وهي القصيدة المسماة بأيوب أو المعذب، التي تشبه نوعا ما قصة سِفر أيوب في التوراة، إذ وضحت الرؤية الفلسفية للإنسان العراقي القديم، بِأنّ المعذب لا سبيل له، إلا تمجيد إلههِ ومواصلة البكاء والرجاء حتى إصغاء إلههِ الوسيط والحامي لدعواتهِ بشيء من العطف، وعلى الرغم من معاناتهِ مقابل إيمانهِ فلم يُشكك بعظمة آلهتهِ، وإلههِ الوسيط الحامي وهو من لجأ إليه، بالدعاء والتضرع والرجاء مع مراعاة حكمة ذلك المريض، في بيان نوع من التأنيب للآلهة في محاورتهِ، ربما إشارة منه للإله بإمكانية تمردهِ عليه مستقبلاً، فقد جاء في بعض تفاصيل النص".. يا إلهي أريد أنّ أقف في حضرتك، أريد انّ أتكلم أليك، وأريد أنّ أبكي على مرارة سبيلي.. المرض الخبيث يغمر جسدي، إلى متى ستهملني، ستتركني بلا هداية؟ "(كريمر ص.، ١٩٧٣، ١٦٨-١٧٢). ومثل تلك القصيدة السومرية وردت قصيدة بابلية عُرِفَت بعنوان (لِأمَجّدنَ رب الحكمة) و (حِوارية العدالة الإلهية) والمقصود برب الحكمة، هو الإله مردوخ، إله مدينة بابل الرئيس، وقد أطلق عليه بعض الباحثين تسمية أيوب البابلي، أو التقي المعذب (باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ١٩٧٣، ١٤٧-١٥٠)، إذ يناقش من خلالها الإنسان التساؤلات التي عرضها بمقارنة أفعال الآلهة تجاهه وأفعاله هو تجاهها ومنها لماذا تعاقب الآلهة الرجل العادل والتقي بإرسال المرض والألم إلى جسده؟ أو على أقل تقدير منع هذا المرض والألم وما الذنب الذي ارتكبه ليستحق ذلك؟ وهذا هو محور القصيدة البابلية. أما في (حوارية العدالة الإلهية) والتي نجد فيها وضوح نزعة الشك بالقدرات الإلهية أكثر مما كانت عليه في قصيدة (لِأمَجّدنَ رب الحكمة)، إذ تصور لنا هذه الحوارية رجلاً لاهوتياً يتأرجح بين الشك واليقين في نوايا الآلهة تجاه البشر (الشواف،

١٩٩٧، ٤٢٦-٤٢٧). وهل هي آلهة عادلة حقاً؟ لنجد هنا نوعا من النزعة الفردية الوجودية التي تمثل ذات الإنسان وتجسيداً لشخصيته، إذ أصبحت العدالة، بعد أن كانت مِنة وهِبة تحتكرها الآلهة فقط وما على الإنسان سوى الولاء بالتبعية المطلقة لها، حق باستطاعة الإنسان المطالبة بها (فرانكفورت هـ.، ١٩٨٠، ٢٤٦).

لقد جسد هذا الشعور انتقال الفكر الديني في العراق القديم من مرحلة النمطية والتبعية المطلقة للآلهة إلى مرحلة الشعور بالاستقلال الذاتي والنزعة الفردية (الطعان، ١٩٨١، ٥٨٢). واستمر هذا الفكر في الألف الثاني ق.م متأرجحا بين الشك واليقين أو الإيمان بالآلهة، مع محاولة المفكرين إيجاد الحلول المقنعة أو القناعات لهذه التساؤلات والشكوك من الحلول المقدمة في قصائدهم وأدبياتهم. كالإجابات التي تناولتها قصيدة (لِأمجدن رب الحكمة) بعدم جواز تطبيق المقاييس والمعايير البشرية على أحكام الآلهة وقراراتها، وما هذه الأزمات إلا امتحانات للإنسان لإثبات قوة إيمانه تجاه الآلهة (الجابري، ١٩٨٥، ٦٦-٦٧)، إذ جاء على لسان العبد التقي المعذب في القصيدة القول الآتي:

" بلغت غاية العمر ومضيت إلى ما وراءها،
وتلفت حولي، فإذا شر فوق شر.
ولكن لم أفكر أنا نفسي إلا في الصلاة والتضرع،
وكان التضرع ديدني، وتقديم القرابين عادتي،
وكان يوم عبادة الآلهة فرح قلبي،
ويوم موكب آلهتي كسبي وثروتي
وتبجيل الملك غبطتي،
والموسيقى الصادحة له مسرتي" (موسكاتي، ١٩٨٦، ٩٢).

وعلى الرغم من التأرجح بين الشك واليقين والوصول إلى إقناع الفكر بضرورة الصبر والإيمان بالقدر والحكمة الإلهية بما يصيب الإنسان من أزمات ومصائب، إلا أن ذلك يعدّ الأسس الأولى للتحرر الفكري ومحاولة الإنسان التحليل والرؤية الشمولية لأبعاد الحياة بعلاقة الميتافيزيقي مع الواقعي ولا يمنعنا هذا من اعتبار هذه التساؤلات والحلول على الرغم من بساطتها هي البواكير الأولى لتساؤلات أعمق وأبعد نظراً في المراحل اللاحقة لتظهر فيما بعد معايير فلسفية واضحة المعالم.

- **مرحلة الشك المطلق وانهيار المنظومة القيمية:**

بحلول الألف الأول ق.م، تعرضت فيه بعض القيم الأساسية لخطر الفقدان ليحل محلها التشكك القاطع بالآلهة وأفعالها واللامبالاة بتقويض وهدم البنيان الروحي للحضارة (فرانكفورت

هـ.، ١٩٨٠، ٢٥٦)، وربما يعود هذا إلى المصاعب والأزمات التي تعرض لها العراق في الأدوار الأخيرة من حضارته (باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ١٩٧٦، ١٥٤).

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى عكس ذلك مدى تطور المحتوى الفكري الذي وصل إليه الإنسان العراقي آنذاك، إذ بدا يقارن ذاته بالذات الإلهية محاولاً الارتقاء إلى مستواها، وبما أن الآلهة تمثل قوى الطبيعة ومظاهرها فكانت محاولاته تشير ضمنياً نحو التطلع للسيطرة على الطبيعة وكشف أسرارها؛ لتزداد تبعاً لذلك نزعته الفردية المستقلة، ومن ثم زيادة ثقته بنفسه (الطعان، ١٩٨١، ٥٨٧). ويمكن أن نلمس ذلك بشكل واضح في محاورة جميلة يشوبها نوع من التشاؤم، نابعة من رؤية فكرية فلسفية تحليلية لواقع الحياة، جرت أحداثها ما بين(سيد وعبده)، موضحةً لنا بأن الإنسان مهما حاول النجاة من التناقضات في نشاطاته كلها فلا مفر منها (لابات، ١٩٨٨، ٤١٤)، إذ نرى بحوار السيد وهو يعلن لخادمه عن رغبته في عملٍ ما، نجد أن الخادم أو العبد يوافقه على الفور لهذه الرغبة مشجعاً أياه ومعدداً جميع نواحي المتعة فيها والبهجة، غير أن السيد حينئذٍ يكون قد سَئِمَ الفكرة فقرر أن لا يفعلها، ليبادر العبد بموافقته على ذلك ضمن الحوار معدد جميع النواحي السلبية لتلك الرغبة، لتتضح لنا صورة جميلة عن القدرة الفكرية للخادم ومحاولة موافقة قرارات سيده تتعدى صورة النفاق إلى صورة التحليل الحقيقي لواقع الحياة بشكلها المزدوج المليء بالتناقض والازدواجية والنسبية في جميع مظاهرها. إذ جاء القول:

"السيد: اطعني أيها العبد، اطعني!

العبد: ها أنذا مطيعك يا سيدي

السيد: اريد أن اساعد بلادي

العبد: أفعل ذلك يا سيدي، فان من يساعد بلاده توضع حسناته في كف الإله مردوخ

السيد: لا يا عبد، لن أفعل ما يساعد بلادي

العبد: لا تفعل يا سيدي، لا تفعل! أعلُ فوق الأطلال القديمة وتمشَ فوقها وانظر إلى جماجم الماضيين والمتأخرين، فأيهم الأشرار وأيهم الصالحون!

السيد: والآن أي شيء حسن في الدنيا! سأدق عنقك وعنقي أو نرمي بنفسينا في الماء، وهذا هو الشيء الحسن" (باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ١٩٧٦، ١٥٦-١٥٧).

ربما تعدّ هذه المحاورة أولى صور النسبية البسيطة في التفكير كنظرية أخذت أبعادها الكبيرة لاحقاً، موضحةً هنا عدم جدوى أي شيء، فلا يوجد ما هو جدير بالثقة والاهتمام المطلق، فكل ما في الحياة باطل يدعو إلى الشك، تتقمصه النسبية خاضعاً للظروف المحيطة ومتغيراتها، ومن هنا يبدأ الاستسلام وعدم البحث والانتهاء بنفي وتفنيد كل القيم (فرانكفورت هـ.، ١٩٨٠، ٢٥٦-٢٥٩) كما فندت وجود حياة فاضلة ووجود آلهة تتعهد

بحماية الإنسان وتدفع عنه الأخطار عند الحاجة إليها، لينتهي الفكر الديني في العراق القديم إلى الشك وعدم اليقين، فيصبح بذلك مفهوم فعل الخير والشر سيان لدى أصحاب هذه الحضارة العريقة في تلك المدة من تاريخها المجيد.

- **الخاتمة:**

لقد أدت حضارة العراق القديم دوراً مهما من ناحية التأثير في تأريخ البشرية، ولاسيما في الجانب الديني والفكري، إذ استبعد المفكر العراقي القديم القول لكونه جامدا ثابتا وفارغا، بلْ أكد على فكرة الكون الحيوي الديناميكي المليء بالإرادات الحية القوية الذي توحدت فيه عناصر الطبيعة مع العلاقات الاجتماعية، ثم عمق المفكر العراقي استنتاجاته مستفيداً من الحرية التي تمتع بها في تعديل رؤيته للكون والوجود، وقد انعكس ذلك على فكره الديني الذي قد مرّ بمراحل تطورية انتقالية ولاسيما في موقفه من الآلهة ودور الإنسان في الحياة، منذ الألف الثالث حتى منتصف الألف الأول ق.م، إذ تدرج هذا الفكر من الإيمان الساذج والتبعية الدينية المطلقة للآلهة وفكرة التعددية الإلهية، وتهميش النزعة الفردية للإنسان ودوره في الحياة، لكونه تابعا للآلهة ،منقادا لأوامرها، يتوسل العدالة بمفهومها البسيط كمنة أو هبة من هذه الآلهة وبحسب رغبتها التي لا تتقيد بقانون أو نظام، ليتطور بعد ذلك هذا الفكر ويتبنى أفكاراً أكثر واقعية كفكرة التفريد والانتقال من التعددية إلى القول بإله حامي للمدينة وللإنسان الفرد ذلك الإله الوسيط الشخصي الذي كان رمزاً لظهور النزعة الفردية ونمو الشخصية الإنسانية كمحاولة أولى للتحرر من النمطية والتبعية وذلك عبر رفض فكرة العدالة الإلهية كهبة جاعلاً من العدالة حق مشروع يسعى إليه الإنسان بجهده الخاص، مع وجود نوع من الرؤية الواعية بعدم نبذ الإيمان ،ومحاولة تصديق القناعات التي تستعرضها الأفكار الأخرى للسيطرة على موازين ونظام المجتمع من الانهيار، على الرغم من وجود الأمثلة على وصول الفكر التحليلي للإنسان آنذاك، ولاسيما في المدد الأخيرة إلى مرحلة الشك بمفاهيم الحياة والنسبية في قيمها وربما الانتهاء إلى العبثية في كل شيء.

وربما يعود هذا الارتقاء الفكري ومعالجة المتناقضات في المفاهيم وإيجاد الحلول النسبية إلى نوع من العلاقة التبادلية التي ميزت جانبا من سلوك الإنسان العراقي مع الآلهة، ورؤيته بانتفاء العدالة في هذه العلاقة على مرّ الأجيال والأحوال وتهميشه لدور الآلهة ليكون هذا الشعور قاعدة انطلاق تجاه نزعاته نحو التمرد على القوانين الإلهية والطبيعية.

المصادر والمراجع

١. الخشاب، أحمد، (١٩٦٤)، علم الاجتماع الديني، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة.
٢. الأحمد، سامي سعيد (٢٠١٣)، المعتقدات الدينية في العراق القديم، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت.
٣. باقر، طه (١٩٧٦)، مقدمة في أدب العراق القديم، دار الحرية، بغداد.
٤. باقر، طه (١٩٧٣)، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

٥. باقر، طه (١٩٧٥)، ملحمة كلكامش، وزارة الثقافة، العراق.
٦. بوتيرو، جان (١٩٧٠)، الديانة عند البابليين، ترجمة:وليد الجادر، بغداد.
٧. توملين. أ.ف، (ب.ت)، فلاسفة الشرق، مج٢، ترجمة:عبد الحميد سليم، دار المعارف، القاهرة.
٨. توينبي، آرنولد (٢٠١١)، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة: فؤاد محمد شبل، ج١، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
٩. الجابري، علي حسين (١٩٨٥)، الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان، آفاق عربية، بغداد.
١٠. جاكوبسن، ثوركيلد، (١٩٨٠)، أرض الرافدين، تأليف هنري فرانكفورت، ما قبل الفلسفة، ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا، المجلد ٢،المؤسسة العربية للدراسات، بيروت.
١١. حنون، نائل (١٩٨١)، عقائد ما بعد الموت في العراق القديم، مج٢، دار الشؤون العامة (آفاق عربية)، الجمهورية العراقية.
١٢. سليمان، عامر (١٩٩٣)، العراق في التأريخ القديم– موجز التأريخ الحضاري،ج٢، دار الكتب، الموصل.
١٣. سهفان، كامل (١٩٩٩)، موسوعة الأديان القديمة– معتقدات آسيوية، مج١، دار الندى، مصر.
١٤. الشواف، قاسم (١٩٩٧)، ديوان الأساطير (الآلهة والبشر)، مج١،ج٢ ، دار الساقي، بيروت.
١٥. الطعان، عبد الرضا (١٩٨١)، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد، الجمهورية العراقية.
١٦. علي، فاضل عبد الواحد (١٩٨٩)، من ألواح سومر إلى التوراة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
١٧. علي، فاضل عبد الواحد، سليمان، عامر (١٩٧٩)، عادات وتقاليد الشعوب القديم، دار الكتب، بغداد.
١٨. غلاب، محمد (١٩٣٨)، الفلسفة الشرقية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
١٩. فرانكفورت، هنري(١٩٦٥، فجر الحضارة في الشرق الأدنى القديم، ترجمة: ميخائيل خوري، دار الحياة، بيروت.
٢٠. فرانكفورت، هنري وأخرون (١٩٨٠)، ما قبل الفلسفة (الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى) ترجمة:جبرا ابراهيم جبرا، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
٢١. كريمر، صموئيل نوح (١٩٧٣)، السومريون–تأريخهم حضارتهم وخصائصهم، ترجمة: فيصل الوائلي، مكتبة الحضارات، بيروت.
٢٢. كريمر، صموئيل (ب.ت)، من ألواح سومر، ترجمة: طه باقر، مكتبة المثنى، بغداد ومؤسسة الخانجي، القاهرة.
٢٣. كولر، جون (٢٠١٣)، الفلسفات الآسيوية، مج٦، ترجمة:نصير فليح، المنظمة العربية للترجمة، بغداد.
٢٤. لابات، رينيه (١٩٨٨)، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ترجمة: الأب البير أبونا، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد.
٢٥. لامبرت، دبليو جي (٢٠١٥)، أدب الحكمة البابلي، مج١، ترجمة:احسان محمود الشهواني، دار السجى للنشر، بغداد.
٢٦. مرحبا، محمد (١٩٩٥)، بدايات الفلسفة الأخلاقية، مج١، مؤسسة عز الدين، بيروت–لبنان.
٢٧. موسكاتي، سبتينو (١٩٨٦)، الحضارات السامية القديمة، ترجمة:يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت.
٢٨. النشار، مصطفى (٢٠١٢)، الفلسفة الشرقية القديمة، مج١، دار المسيرة، عمان– الأردن.
٢٩. باقر، طه (١٩٤٦)، ديانة البابليين والآشوريين، مج٢، ج١، مجلة سومر، بغداد.
٣٠. علي، فاضل عبد الواحد (١٩٧٨)، بين ألواح سومر وسفر التكوين، مجلة كلية الآداب، ملحق للعدد ٢٣.
٣١. خضوري، نور حكمت (٢٠٠٥)، فلسفة الحياة ما بعد الموت في الأساطير القديمة (رسالة ماجستير)، جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم الفلسفة.

32. Arnold Toynbee(1949), Astudy of history, Oxford University Press, U.S.A.
33. D Foxvog ،W Heimpel, A D Kilmer (1980), Rrallexikon der Assyriologie und Vorderasiatischen Archaologie ,Vol.6,Walter de Gruyter,Berlin-NewYORK.